بسم الله الرحمن الرحيم

سَمَاحَةُ الْإِسْلَامِ ٦ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٤٧هـ

أُوصِي نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ ﷻ، فَاتَّقُوا اللهَ، وَاسْلُكُوا سُبُلَ الْهُدَىٰ، وَتَجَنَّبُوا مَسَالِكَ الْغَفْلَةِ وَالرَّدَىٰ.

عِبَادَ اللهِ: يُحَاوِلُ أَعْدَاءُ الدِّينِ إِلْصَاقَ شُبَهٍ بِالْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَيَتَمَثَّلُ ذَلِكَ فِي وَصْفِ هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ وَأَتْبَاعِهِ بِالتَّعَصُّبِ وَالطَّائِفِيَّةِ، وَالْعُنْفِ وَالشِّدَّةِ. وَالْإِسْلَامُ بَرِيءٌ مِنْ ذَلِكَ؛ فَهُوَ دِينُ الرَّحْمَةِ وَالْعَدَالَةِ، وَالتَّسَامُحِ وَالْمَحَبَّةِ. أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَالْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ قَالَ: «الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ». فَهِيَ حَنِيفِيَّةٌ فِي التَّوْحِيدِ، سَمْحَةٌ فِي الْعَمَلِ.

وَلَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا»؛ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَصَدَقَ اللهُ إِذْ يَقُولُ: ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أَيْ: لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نِعَمَهُ عَلَيْكُمْ، فِيمَا شَرَعَهُ لَكُمْ مِنَ التَّوْسِعَةِ وَالرَّأْفَةِ، وَالرَّحْمَةِ وَالتَّسْهِيلِ وَالسَّمَاحَةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: هَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَحُثُّ عَلَىٰ السَّمَاحَةِ فِي الْمُعَامَلَةِ، وَالتَّحَلِّي بِمَعَالِي الْأُمُورِ، وَتَرْكِ الْمُشَاحَّةِ، وَيَدْعُو ﷺ بِالرَّحْمَةِ لِمَنْ تَحَلَّىٰ بِذَلِكَ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَىٰ، وَإِذَا اقْتَضَىٰ»، وَمَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ رَجُلًا سَهْلًا. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا سَهْلًا. قَالَ الْحَافِظُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمِنْهَاجِ»: قَوْلُهُ: «سَهْلًا» أَيْ: سَهْلَ الْخُلُقِ، كَرِيمَ الشَّمَائِلِ، لَطِيفًا مُيَسَّرًا فِي الْخُلُقِ، كَمَا قَالَ اللهُ

تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

عِبَادَ اللهِ: وَتَتَجَلَّىٰ هَذِهِ السَّمَاحَةُ وَالرَّحْمَةُ فِي صُوَرٍ شَتَّىٰ مِنْ حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ. فِي عِبَادَاتِهِ وَمُعَامَلَاتِهِ، وَفِي سُلُوكِهِ وَأَخْلَاقِهِ، مَعَ قَرَابَتِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَأَصْدِقَائِهِ وَأَعْدَائِهِ، فَكَانَ ﷺ رَحْمَةً لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ، دُونَ اعْتِبَارٍ لِجِنْسِهِمْ أَوْ دِينِهِمْ. فَفِي غَزْوَةِ بَدْرٍ الْكُبْرَىٰ، كَانَ مَعَ أَسْرَىٰ الْمُشْرِكِينَ أَبُو الْعَاصِ ابْنُ الرَّبِيعِ، زَوْجُ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ، بَعَثَتْ زَيْنَبُ فِي فِدَاءِ أَبِي الْعَاصِ بِمَالٍ، وَبَعَثَتْ فِيهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ عِنْدَ خَدِيجَةَ، أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَىٰ أَبِي الْعَاصِ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً، وَتَرَحَّمَ عَلَىٰ خَدِيجَةَ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ، كَمَا فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، قَالَ: «إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا، وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا». فَقَالُوا: نَعَمْ. وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخَذَ عَلَيْهِ أَوْ وَعَدَهُ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَ زَيْنَبَ إِلَيْهِ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَرَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «كُونَا بِبَطْنِ يَأْجِجَ حَتَّىٰ تَمُرَّ بِكُمَا زَيْنَبُ فَتَصْحَبَاهَا؛ حَتَّىٰ تَأْتِيَا بِهَا»، وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي[أَيْ: سَلَّ]، وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا [أَيْ: بَارِزًا وَمُسْتَوِيًا]، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللهُ – ثَلَاثًا –»، وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ. قَالَ: فَذَهَبَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ. فَلَمْ يُجْبِرْهُ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُعَاقِبْهُ عَلَىٰ فِعْلَتِهِ، فَدَخَلَ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِهِ، وَرَجَعَ إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَاهْتَدَىٰ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مِنْ عَظِيمِ سَمَاحَتِهِ ﷺ دُعَاؤُهُ لِلْمُشْرِكِينَ؛ رَجَاءَ أَنْ يَهْدِيَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلْإِسْلَامِ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمَ الطُّفَيْلُ وَأَصْحَابُهُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ دَوْسًا قَدْ

كَفَرَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللهَ عَلَيْهَا، فَقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ»، وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا، فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فَتَأْبَىٰ عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَىٰ الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ، وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا، وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَبْشِرْ قَدِ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَىٰ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَقَالَ خَيْرًا، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَىٰ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إِلَىٰ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ» فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي. وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ الْيَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ؛ يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُمُ اللهُ، فَيَقُولُ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ. لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَأَوْسَعَهُمْ صَدْرًا، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا، وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً، وَأَكْرَمَهُمْ عِشْرَةً، كَثِيرَ التَّبَسُّمِ، طَيِّبَ الْكَلَامِ، وَصُولًا لِلْأَرْحَامِ، حَرِيصًا عَلَىٰ السَّلَامِ وَإِفْشَاءَ السَّلَامِ، لَا يُحِبُّ أَنْ يَقُومَ لَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمَجْلِسِ، وَيَجْلِسُ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ، يُخَالِطُ النَّاسَ فَيُرْشِدُهُمْ إِلَىٰ الْأَمَانَةِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْغِشِّ وَالْخِيَانَةِ، حَسَنَ الْمُصَاحَبَةِ وَالْمُعَاشَرَةِ، يَغُضُّ عَنْ أَخْطَاءِ وَهَفَوَاتِ مَنْ خَالَطَهُ، يَقْبَلُ مَعْذِرَةَ الْمُسِيءِ مِنْهُمْ، وَإِذَا بَلَغَهُ خَطَأُ أَحَدٍ مِنْهُمْ، لَا يُقَابِلُهُ بِمَا يَكْرَهُ؛ بَلْ يَقُولُ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا وَكَذَا؟».

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَلَطَّفُ إِلَىٰ مَنْ حَوْلَهُ، حَتَّىٰ يَظُنَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ، يَسْتَشِيرُ ذَوِي الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ مِنْهُمْ، مَعَ أَنَّهُ تَمَيَّزَ بِتَأْيِيدِ الْوَحْيِ عَنْهُمْ، يُشَارِكُ أَصْحَابَهُ فِيمَا يَعْمَلُونَ، وَيَتَحَمَّلُ مِنَ الصِّعَابِ مَا يَتَحَمَّلُونَ، وَيُوجِزُ ذَلِكَ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ، كَمَا عِنْدَ أَحْمَدَ، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ زَاهِرٍ أَبِي رُوَاعٍ قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَخْطُبُ، فَقَالَ: إِنَّا وَاللهِ قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالرَّحْمَةَ تُثْمِرُ مُجْتَمَعًا يَسُودُهُ الْحُبُّ وَالتَّرَاحُمُ، وَالتَّعَاوُنُ وَالتَّلَاحُمُ، وَكَمَا قِيلَ: النَّفْسُ السَّمْحَةُ كَالْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ، إِنْ أَرَدْتَ عُبُورَهَا هَانَتْ، وَإِنْ أَرَدْتَ زِرَاعَتَهَا لَانَتْ، وَإِنْ أَرَدْتَ الْبِنَاءَ فِيهَا سَهُلَتْ، وَإِنْ شِئْتَ النَّوْمَ عَلَيْهَا تَمَهَّدَتْ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ». سَمَاحَةٌ وَيُسْرٌ فِي الْعَقَائِدِ وَالْعِبَادَاتِ، وَالْآدَابِ وَالْأَخْلَاقِ؛ فَعَقِيدَتُهُ أَصَحُّ الْعَقَائِدِ وَأَقْوَمُهَا، وَعِبَادَاتُهُ أَحْسَنُ الْعِبَادَاتِ وَأَعْدَلُهَا، وَأَخْلَاقُهُ أَزْكَىٰ الْأَخْلَاقِ وَأَتَمُّهَا وَأَكْمَلُهَا، فَهُوَ دِينٌ لَا حَرَجَ فِيهِ وَلَا شِدَّةَ، وَلَا تَعْسِيرَ وَلَا مَشَقَّةَ.

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ دَعَا الْإِسْلَامُ كَثِيرًا إِلَىٰ التَّحَلِّي بِخُلُقِ السَّمَاحَةِ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ فِي مَقَامِ الْعِبَادَاتِ؛ فَإِظْهَارُ الْبَشَاشَةِ وَالْبِشْرِ عِبَادَةٌ، وَإِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ عِبَادَةٌ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ عِبَادَةٌ، وَإِكْرَامُ الضَّيْفِ عِبَادَةٌ، وَاللُّقْمَةُ يَضَعُهَا الرَّجُلُ فِي فَمِ زَوْجَتِهِ عِبَادَةٌ، وَشُكْرُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الْيُسْرِ وَالسَّمَاحَةِ عِبَادَةٌ، وَكَفُّ الْأَذَىٰ عَنِ النَّاسِ عِبَادَةٌ، وَكُلُّ عَمَلٍ أُرِيدَ بِهِ وَجْهُ اللهِ عِبَادَةٌ. فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّ سُلَامَىٰ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ» قَالَ: «تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ» قَالَ: «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَىٰ الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ».